مسؤلية الامهات

الناس اربعة اقسام فمن اي قسم تريدين ابنك ؟

اننا في كل يوم من ايام حياتنا ندعى للعمل . ولكننا قلما ندعى للايضاح عن العواطف التي تدفعنا الى ذلك العمل . فان ايامنا كنهر دائم السير سريع الجري . ولذا يحسن بنا ان نقف مرة بعد مرة لنمعن النظر في تلك القوات التي تدير مجراه ونسأل ذواتنا لماذا نرى بعض الامور وجوبية وبعضها اختيارية . لماذا اصرف الساعات الطوال في تتميم عمل ما وابخل بدقيقة واحدة على غيره ؟ ما هو القانون الذي قيد سيري الحالي ؟

ليس لنا الا حياة واحدة وهذه الحياة قصيرة . وكثيراً ما تمر الايام وهي خاضعة لتقلبات الطبيعة بدون ان تحدث لنا حادثاً يستحق الذكر فيخيل لنا ان كل يوم يمضي كالذي قبله . ولكنه غني عن البيان انه لا يمكن ان تمر دقيقة وياتي مثلها . والبحث بهذه الحقائق مهم لحياة الافراد وخصوصاً لمن يكونون محاطين باحداث ومسؤولين عن انفس صغيرة تسلمت لهم ليهذبوها ويتولوا تربيتها اذ ان حياة هؤلاء الصغار بين ايدي اوليائهم ومن اهم الوجبات عليهم وافدسها ان يعلموهم احسن خطة يعرفونها بالاختبار وقبل ان يتركوهم لعواصف هذا العالم عليهم ان يسلموهم ابرة مغنطيسية وخريطة تبين لهم سبيل الحياة القويم فيكونون من خيرة رجال المستقبل ونسائه

هذه هي اهم واجبات الانسان نحو النفوس الصغيرة الموكول اليه تهذيبها ولكن كيف يحسن ذلك وما هو المثال الانساني الذي يضعه نصب عينيه سيقي تهذيب صغاره . فالناس حوله مختلفي الطباع والاخلاق والمشارب وهم بهذه

الاعتبارات العديدة درجات واقسام كثيرة . وقد حصرت احدى الكاتبات الشهيرات هذه الاقسام باربعة اجعلها موضوعاً لكلامي

القسم الاول — وهو الادنى وهم الذين يوجدون على هذه البسيطة كما توجد الاوراق على وجه المياه فهم يعومون في بحر الحياة تابعين ما حولهم مسلمين ذواتهم لما يحيط بهم من الظروف والتقادير فمثل هؤلاء لا يحصلون على السعادة الحقيقية لانهم وان تقوا بالدنيا سروراً فليس هذا السرور الاّ زائلاً ودنيئاً اذ هو القشور الخارجية للسعادة الحقيقية فلا يصح ان ندعى حياتهم حياة لخلوها من القوة الذاتية التي هي أس كل حياة تلك القوة الذاتية التي تدفع الانسان الى غرض معلوم ومحدود وتحارب كل عدوّ يعترضها في طريقها نحو غايتها المقصودة وضالتها المنشودة

ويملء الاسف اقول ان سيداتنا هم الفئة الكبرى في هذا القسم فكل من اتخذت خطته وسلكت عليها فهي عديمة القوة الذاتية والارادة الشخصية فهي لا تسمع الاّ باذان غيرها ولا تنظر الا بعينيه . تدور مع الارض كما تدور الصخور على وجهها معها . هذه المرأة ليست الا ورقة يابسة ساقطة على وجه المياه مسلمة نفسها الى تيارها اذ ليس لها قوة على مقاومة مجراها هي دون السمك الذي يعاكس ويقاوم هذا المجرى فلا غاية لها . وان حصرت قوتها وانتباهها واكرهت نفسها على الثبات في عمل ما فليس الا لاتباع زيّ جديد وان نفرت واعرضت عن عمل آخر فليس ذلك الا نفوراً من لبس فستان يوافق زيّ الشهر الماضي

هذه المرة تتبع ولا تقود تاخذ ولا تعطي تطمع بجميع ملذات الدنيا وتبعد عن كل مسؤولية وهي التي اشار اليها بولس الرسول من نحو الى تيموثاوس « واما المتنعمة فقد ماتت وهي حية »

القسم الثاني . وافراده ارقى من افراد الاول ولكن فسحة قلوبهم قد اشغلتها اثرة النفس فلم تدع فيها مكاناً كافياً للصفات الشريفة وهم (اي افراد هذا القسم) في جهاد دائم مستمر اذ انهم يستيقظون فيرون انفسهم بكبرة كبيرة تصور لهم عظمة واهمية فيهم لا توجد في غيرهم من البشر . يرون انفسهم كبيرة فينقادون اليها ولكنها كثيراً ما تسيرهم الى اللذات والشهوات فيستخدمون كما يرونه بامكانهم لنيل مطلبهم باي واسطة كانت سواء بالقوة او بالحيلة مفاخرين في اتباعهم (عَلَى قولهم) ناموس تنازع البقاء فيتوغلون في خدمة شهواتهم الى حدّ ينسيهم انهم من فصيلة البشر وعليهم بخدمتهم ومعاضدتهم واحترامهم ولا يدخرون في سبيل اهوائهم واسطة حتى ولو كانت تقود الى ايقاع النزاع والخصام بين الناس فتأصل الحزازات وتفقد المروءة والشهامة ويضيع حق الوفاء بين الطمع والحذر والغدر والخيانة . افلست هذه العاطفة عاطفة الكبرياء واثرة النفس هي التي ادت برومية - المدينة العظيمة التي تلألأت كالزهر في جوّ التاريخ - الى الخراب والدمار

قلت ان النفس الكبيرة قد تقود الى الشهوات وقد تقود ايضاً الى ما هو حسن وشريف بحد ذاته فيطمح صاحبها الى درس العلوم العالية او للامتياز بفن جميل ابتغاء الشهرة الواسعة والصيت البعيد . ومن الناس من يفنون حياتهم لعمل صغير لا شأن ولا اهمية له ولكن هؤلاء مع قلة اهمية غاياتهم هم اشرف ممن لا غاية لهم سوى ملذاتهم فقد قال برونن « ان الذي يعيش ليؤلف مجموعة من الفراشات الملونة او علب الكبريت الفارغة له غاية في الحياة ولا شك بانه قد احسن بعمله هذا

هل تمدح اثرة النفس ام تذم ؟

يتوقف ذلك على ماهية عمل صاحب هذه الصفة وغايته ولكن كيفما كانت الحال فالنفس مرجع جهاده فلها يعمل ولاجلها يقتحم الاخطار ويقاسي الاهوال ولكنه لا يقلب حجراً ولا يبدي حركة من اجل اخيه الانسان فكثيراً ما تكون غايته جمع المال فيبني القصور الشامخة فيتنعم بها ويغرس الجنائن الزاهرة فيتمتع برياحينها وجمالها غير مكترث باخيه في الانسانية الذي ليس له كسرة خبز يسد بها رمقه . يشتري الجواهر الجميلة والاقمشة الفاخرة ويودعها صندوقاً حديدياً حرصاً عليها من انياب الدهر ويصرف ايامه ولياليه وعيناه ساهرتان تحدقان يمنة ويسرة يراقب حركات الناس لئلا يفاجئونه على حين غفلة فيسلبون منه ما قد جمع من معبوده — ذلك الاصفر الرنان

فمن منا يريد الانضمام الى قسم انرة النفس الذي اشرت اليه وكل مفاخره زائلة واموالة فانية . قال لنا المسيح في انجيله لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث يدخل السارقون ويسرقون فالمطامع تفشل والملذات تقضي والفنون تكسد والمحبة تاخذ نفسها اجنحة فتطير الى حيث لا تعلم فنقف في اخر ايامنا لنفتقد تلك الكنوز التي التقطناها في ايام شبوبيتنا ولكن يا للاسف فماذا نجد ؟ . نجد ان البعض مفقوداً والبعض قد شوهه السوس واكل رونقه الصدأ . تهون علينا المصيبة عندما نرى جارنا الذي كان بالامس يملأ الشوارع والاكاديميات بصوره الشهيرة قد فقد نظره وذلك الموسيقي الذي كان بالامس يطرب اوقاتاً بالحانه البديعة قد فقد سمعه ولا يصح ان نحسد من لم يزل متمتعاً ببعض مواهبه وغناه اذ لا بد من مجيء ذلك اللص العظيم - الموت - الذي يقف في آخر الطريق وينتزع منه كل ما بقي من المال والمفاخر

يقول المثل السائر سل مجرباً ولا تسأل حكيماً ومن لنا احسن من سليمان